

اجتهادات هل بقيت لنا خصوصية؟

ليست مؤسسة جوجل وحدها التي تستطيع معرفة المعلومات الشخصية الخاصة لمستخدمي خدماتها، وأدق تفاصيل حياتهم. فقد تمكن بعض محترفي القرصنة الإلكترونية «الهكرز» من اكتشاف وسيلة لاختراق نظام أندرويد لتشغيل الهواتف الذكية، وشن هجمات إلكترونية بالغة الخطورة ربما يكون انتهاك خصوصية مستخدمي هذه الهواتف أقلها ضرراً، لأنها تتيح سرقة كلمات المرور إلى مختلف الحسابات، والسيطرة على الجهاز والتحكم فيه، أو غلقه تماماً حين يعرف القرصان أنه يتضمن معلومات بالغة الأهمية قد لا يكون لدى صاحب الجهاز نسخة أخرى منها. وفي هذه الحالة يصبح مستعداً لدفع «فدية» في مقابل إعادة فتح الجهاز.

غير أن معرفة «جوجل» تفاصيل الحياة الخاصة لمستخدمي حساباتها يظل بالغ الخطورة بدوره لأنه يهدد أي مستخدم في أي وقت، وبشكل طبيعي وسلس دون قرصنة، وبغير أن يشعر بأى تطفل عليه. فقد أصبح لدى جوجل الآن أكبر مخزن للمعلومات والبيانات في التاريخ. وهي تتضمن معلومات شخصية تستخدمها جوجل لأغراض التسويق، حيث يتيح تحليلها معرفة اهتمامات أصحابها وميولهم وتفضيلاتهم، وبالتالي التنبؤ بسلوكهم وما يقترن به من سلع وخدمات يحتاج إليها كل منهم. ويتم اختزال هذا كله في صورة أفكار ومقترحات تبيعها جوجل إلى الشركات التي تسعى إلى تطوير منتجاتها للوصول إلى أكبر عدد من الزبائن.

وهكذا توشك الخصوصية، التي تعد أحد أهم مقومات الحداثة، أن تصبح تاريخاً إلا لمن يملك القدرة على تطوير أو شراء أساليب تشفير معقدة للغاية من أجل حماية ما يتيسر من معلومات عن حياته الخاصة. وهذا يفسر التوسع في إنشاء شركات متخصصة في أنظمة الحماية الإلكترونية في السنوات الثلاث الأخيرة وفق الإحصاءات التي تنشرها شركة الخدمات (المهنية العالمية (كي.بي.إم.جي).

صحيح أن قواعد العمل في مؤسسة جوجل لا تسمح بإساءة استخدام البيانات الشخصية والمعلومات عن الحياة الخاصة. ولكن من يعملون فيها بشر يمكن أن ينزلق أحدهم إلى خرق هذه القواعد، واستخدام معلومات شديدة الخصوصية بطريقة مؤذية لأصحابها. وأياً كان مدى قوة هذا الاحتمال أو ضعفه، يظل انكشاف الإنسان أمام آخرين بشكل كامل مثيراً للقلق. فكم هو مزعج الشعور بأن هناك من يراك ويعرف كل شيء عنك.